محاضرة 01:

الحضارة الإنسانية: مفهومها و مجالها

01ـ مفهوم الحضارة:

تعريف الحضارة في اللغة مأخوذ من الفعل "حَضَرَ"، والحَضَرُ خلاف البدو، والحضارة الإقامة في الحضر، عكس البداوة التي يعيش فيها الناس حياة قبلية، أساسها التنقل من منطقة لأخرى.

أما اصطلاحا فهي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي. وهي التقدم والازدهار في مختلف جوانب الحياة من اقتصاد، وثقافة، وفن، وعمران. ولعل أحسن تعريف للحضارة هو ماذكره ابن خلدون في مقدمته وهو أنّها نمط من الحياة المستقرة يُنشئ القرى والأمصار. ويضفي على حياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش والعمل، والاجتماع، والعلم والصناعة، وإدارة شؤون الحياة والحكم، وترتيب وسائل الرّاحة وأسباب الرفاهية. ومن هنا اتّجه القول إلى أنّ الحضارة ارتباط بالحضر، فابن خلدون يرى أنّ الحضارة نمط من الحياة المستقرة يُنشئ القرى والأمصار... أي أنّ إنشاء القرى والأمصار نتيجة للحضارة وليس أصلا لها، ومعنى هذا أن الجماعة ترقى فكريًّا ثم ماديًّا، أي تبدأ عندها مظاهر الحضارة ثم تستقرُّ لتنمّي حضارتها. لأنّ نموّ الحضارة يحتاج إلى استقرار لتقويم العلوم التجريبية، ولتشييد المعامل لتنهض الزراعة والصناعة، ووسائل العمران. وهنا تبرز مصطلحات قريبة من سياق الحضارة كالثقافة والمدنية.

02 ـ مفهوم الثقافة:

الثقافة في اللغة هي التهذيب و الصقل، يُقال: ثقّف الرّمح أي قوّمه و سوّاه، ومعناها الاصطلاحي : الرّقي في القانون و السياسة و الإحاطة بقضايا التاريخ، و الرّقي كذلك في الأخلاق و السلوك.

03 ـ مفهوم المدنية:

المدنية هي الرّقي في العلوم التجريبية كالطب، و الهندسة، و الكيمياء، و الزراعة و الصناعة، وسمّي الرّقي في هذه العلوم " مدنية" لارتباط الرقي فيها بالمدنية و الاستقرار، إذ لابدّ للطب من مستشفيات، ولابدّ للهندسة من ورشات ولابدّ للزراعة من حقول. فالمدنية تستهدف السيطرة على الطبيعة، وإخضاع ظروف البيئة للإنسان. ومن هنا كانت الثقافة تحريرًا للإنسان وتقويما له، وكانت المدنية تعني سيطرته على الأشياء، وخلق وسائل منها لإسعاده. أما الحضارة فتشمل الرقيّ في المجالين معا.

04 ـ عوامل الحضارة:

الحضارة مشروطة بطائفة من العوامل تساعد على تقدّم خطاها أو تأخرها وهي على النحو الآتي:

أ ـ العوامل الجيولوجية: فالحضارة الإنسانية منذ القديم توسطت عصورا جليدية. أثّرت في مسيرتها. فتيّار الجليد قد يعاود الأرض فيغمرها من جديد. فيحصر الحياة في نطاق ضيق من سطح هذه الأرض ، كذلك الزلازل التي قد تهدّم كلّ ما بنته حضارة الإنسان. فتكون الظروف الجيولوجية المستقرة و الملائمة للاستقرار من العوامل التي تساعد على بناء الحضارة الإنسانية.

ب ـ العوامل الجغرافية: فالعوامل الجغرافية المناسبة، وظروف المناخ المساعدة على النشاط البشري تهيء لقيام الحضارة. في حين حرارة الأقطار الإستوائية مثلا، وما يجتاح تلك

الأقطار من طفيليات لا يوفّر للحضارة أسبابها. فما يسود تلك الأقطار من أمراض و خمول لا يترك للإنسان شيئا من الجهد ينفقه في ميدان الفنون، وجمال التفكير.

ج ـ العوامل الإقتصادية: فقد يكون لشعب مؤسسات اجتماعية منظمة، وتشريع خلقي رفيع، بل قد تزدهر فيه الفنون، ومع ذلك فإنّه إن ظلّ في مرحلة الصّيد فإنّه يستحيل أن يتحوّل إلى الحضارة تحوّلا تامّا، و أوّل صورة تبدّت فيها الحضارة هي الزراعة، فإذا استقرّ الإنسان في مكان يفلح تربته، واطمأنّ على مورد طعامه. أخذ يبني لنفسه الدور، والمعابد و المدارس، ويخترع الآلات التي تعينه على الانتاج، وكذلك يعمل الاختراع، و تعمل الصناعة على مضاعفة و سائل الرّاحة و التّرف. وتساعد التجارة على تبادل السلع، والأفكار فتتلاقح العقول، وتستثار قوة الخلق و الإبداع.

و إلى جانب هذه العوامل لابدّ أن يسود الناس نظام سياسي، وكذا وحدة لغوية، إلى حدّ ما لتكون بين النّاس وسيلة لتبادل الأفكار، وقانون أخلاقي يربط بينهم، ويقوّم سلوكهم. واتّفاق في العقائد الرئيسيّة و الدّينية، و أخيرا لابدّ من تربية لكي تنتقل الحضارة، و الثقافة على مرّ الأجيال. ولو انعدمت هذه العوامل ـ بل ربما لو انعدم واحد منها ـ لجاز للحضارة أن يتهدّم أساسها.

05 ــ عناصر الحضارة (مجالاتها):

للحضارة عناصر أو مجالات تتمظهر فيها وهي على النحو الآتي:

أ ـ عناصر إقتصادية: الصيد، الصناعة، البناء، النسيج، التجارة، وشؤون المال...

ب ـ عناصر سياسية: القانون، أصول الحكومة، نظام الحكم، و الأسرة، و الدولة...

ج ـ عناصر أخلاقية اجتماعية: الدين، الزواج، الأخلاق...

د ـ عناصر عقلية: فن، علم، أدب.

06 ـ حضارات الوطن العربي:

ظهرت في الوطن العربي القديم حضارات ازدهرت وارتقت أهمّها:

أ ـ حضارة الفراعنة في وادي النيل.

ب ـ في بلاد الرافدين ظهرت حضارات السومريّين، و البابليّين، و الآشوريّين.

ج ـ في بلاد الشام ظهرت حضارات العموريين و الفينيقيين، و الآراميين، كما ظهرت في جنوب الجزيرة العربية (اليمن) حضارات زاهرة لدول استمرّت آثارها لليوم.